تطور المصالح الصحية في الولاية الرابعة التاريخية خلال الثورة التحريرية (1956-1962) مظاهر ومشاكل

د.جيلالي تكران

جامعة الشلف

❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁❁

Résumé :

Après les opérations menées par les forces du ALN au premier novembre 1954 à la zone 4 , beaucoup de pertes humaines ont été révélées dans déférents endroits.

Cette affaire a poussé la direction politico- militaire à jeter les bases d'un service sanitaire , recruter les cadres et s'approvisionner en médicaments , les moyens médicales afin de prendre en charge les malades et les blessés parmi les militaires et les civils .

Cette opération était caractérisée tout d'abord par l'initiative, le volontariat durant la période 1954-1956 sans oublier les lois restrictives de l'administration coloniale sur la circulation des produits pharmaceutiques et les moyens médicaux ce qui a entravé le bon approvisionnement régulier et progressif de cette matière vitale .

Avec l'intensification des opérations Françaises et l'évolution de la Révolution Algérienne entre 1956-1962 ; la concrétisation d'un système sanitaire devint une crise inévitable en considération avec les résolutions du congrès de la Soummam 20-08-1956 qui donnait la santé une dimension stratégique , en travaillant d'avantage pour intégrer les éléments nouveaux arrivés à l'organigramme sanitaire comme médecin ; infermier(e) , ou fournisseur .

L' organisme médicale restait ciblé dans la wilaya 4 qui subit des coups destructifs durant 1957-1962 par l'embargo , le plan Challe pratiqué sauvagement par les forces françaises dans la w 4 , ce qui a doublé les pertes chez les militaires et la population Algérienne , dépassant les Droits de l'hommes souvent prétendus et réclamés par les pays occidentaux

لم يرافق اندلا ع الثورة التحريرية تنظيما صحيا يواسي الحصيلة البشرية إلا من بعض المتمرسين ذوو التكوين البدائي الذين التحقوا بالجبال اثر الإضراب الطلابي العام في 19-05-1956 حيث بدؤوا في تشكيل النواة الأولى للصحة في الثورة وعكفوا على تقديم الإسعافات الأولية الضرورية للجرحى من الثوار لتنتقل الى السكان في القرى و المداشر ثم أخذت العملية في التوسع والانتشار لتشمل كل مناطق الوطن .

لقد اكتسى الواقع الصحي في المنطقة الرابعة للفترة 1954-1956 طابعا ذاتيا يخص اكتفاء كل ناحية أو قطاع بإمكانيتها المحلية، فكان استعمال الوسائل المادية العارضة و المؤقتة هي السلوك الشائع بين الثوار. أما عن الجانب البشري فتمثل في أعوان قليلي الخبرة و ذوو معرفة محدودة بأمور التمريض التي اكتسبوها لدى ممارستهم للنشاط الكشفي أو عن طريق التدريبات السريعة.**1**

إن الوضع العام المحلي و الخارجي الذي انفجرت الثورة التحريرية العمل ,جعل قادتها يسابقون الزمن بالتركيز على التنظيم و الهيكلة البشرية و المادية من أسلحة و متفجرات و قنابل جعلهم لا يولون وسائل التمريض الأهمية الكبرى إلا بعد أن لاحت مظاهر الخسائر البشرية من جرحى و مرضى جراء العمليات العسكرية الأولى في نواحي المنطقة , إذ طلت برأسها مشاكل جديدة رافقت تطور الكفاح

المسلح تخص مستلزمات العناية الصحية كالأدوية و الضمادات و وسائل الجراحة البسيطة و كيفية التكفل بالجرحى و المرضى و طرق نقلهم و علاجهم و إيوائهم في ظل الافتقاد الكلي للأطباء إلا من بضعة ممرضين و ممرضات و مسعفات2.

أمام هذا الواقع الصحي المتردي، باشرت قيادة المنطقة الرابعة الاتصال بأطباء و ممرضين متطوعين للذهاب إلى الجبال سرا لمعالجة عناصر جيش التحرير الوطني ثم يعودون إلى أماكن عملهم خوفا من اكتشاف السلطات الاستعمارية أمرهم3. و في بعض الأحيان يحولون بيوت المناضلين الذين ليست لهم سوابق عدلية مع الشرطة أو الجيش الفرنسي الى مصحات لمداواة هؤلاء العناصر4

وباتساع النطاق الجغرافي للثورة، أقدمت الإدارة الاستعمارية على اتخاذ إجراءات لمراقبة المواد الصيدلانية لحرمان المجاهدين من العلاج الضروري والكافي5 اذ جاءت تلك الإجراءات في شكل مراسيم وقعها الحاكم العام في الجزائر جاك سوستال6 يوم 24 أكتوبر 1955 تؤكد على تحديد الأدوية المسموح بها مع وجوب التصريح شهريا بالكميات التي بحوزتهم في الصيدليات و تبرير الحصة التي تم بيعها في الشهر السابق و من هذه الأدوية المسموح بها :

(Acide nitrique, Nitrates, Acide picrique, Chlorate. Permanganate de potassium, Soluté de peroxyde d'hydrogène , iode, glycérine, charbon activé, charbon animal purifié ou non).

ثم دعم المرسوم الأول بمرسوم آخر مكمل له في 21 نوفمبر 1955 أكثر صرامة مؤكدا في مادته الثانية يمنع الملكية أو البيع أو النقل أو التجارة بالأدوية المذكورة في الجدول التالي7:

Antibiotiques	**Sérums**	**Homo Statiques**
Pénicilline	Sérum Antitétanique	Adrénaline titracaine
Auréomycine	Sérum Anti-gangreneux	Arhémapectine
Extencilline	Hémopasma	Adrénaxil 1500
Erythromycine	Plasma gel	Bu Fox 2 injectables
Flocilline	Subtosan	Coal gan médical
Revamycine	/	Hémocoagulène
Terramycine	/	Hémostatiques ERCE
Typhomycine	/	K/trombyl injectable
Tétracycline	/	Trombase 100/500

لقد منع عن الجريح و المريض الجزائري دواء الالتهاب و الإثير و الكحول و الحقن المضادة للكزاز الا بعد أن يقدم للصيدلي المعلومات الشخصية عن المريض والمرافق له , و آليا حكمت عليه القوة الاستعمارية أن يكابد نزاع الموت المرعب, فكم من أسر شهدت المجاهدين الجرحى يموتون بالكزاز موتا فظيعا.[8]

في ظل الضغط العسكري الفرنسي المتواصل و التضييق على التمون بالأدوية ومضايقة الصيادلة و الأطباء في المنطقة الرابعة، بدأ المتعاطفون مع جبهة التحرير الوطني في استقبال الشبان و الشابات بشكل سري للغاية كعمال في قاعات العلاج لديهم و تدريبهم بشكل سريع و مركز على أسس تقديم الإسعافات الأولية و وضع الضمادات و الحقن في العضلة و الأوعية[9]، و البعض الآخر تلقوا تكوينهم في مدارس التمريض بالعاصمة ثم التحقوا بالثورة[10] بحيث شكلوا نواة التنظيم الصحي في المنطقة الرابعة منذ 1955 و اتخذت العملية شكلا سريعا نظرا لظروف الحرب و الحاجة الملحة لأفراد السلك الطبي و بمعدات بسيطة لكن ما لبث أن تطور شكل التكوين و مضمونه لتصبح أكثر دقة و تنظيما[11].

ونظرا لنقص الأدوية جراء القوانين الصارمة على الصيدليات، بدأ الجزائريون في المدن يعهدون بمشترياتهم من الأدوية إلى أحد الأوروبيين لاقتنائها تفاديا للشبهة إذ لم يعد العلم في خدمة الإنسانية في المستعمرة الفرنسية !.

لئن كانت غريزة البقاء أقوى من ضغينة الفناء هي ما جعلت حرمان الجزائري من 100 غرام من القطن المعقم أن يلجأ إلى تضميد الجروح بالماء الدافئ و ممارسة البتر دون إثير[12] و في الغالب لجأ معظمهم إلى الطب الشعبي[13] أملا في الشفاء في تحد لا يقوى على صبره إلا الصادقون في الكفاح حيث صرح فرحات عباس سنة 1958 قائلا :" نفضل أن نكون 10 مليون جثة على أن نكون 10 مليون خاضع "[14] وهي الإرادة التي برهن عليها الثوار في ترتيب مؤتمر تنظيمي سيمكن الثورة من مؤسسات وهياكل وقوانين تتخطى بموجبها الحالة المزرية .

بانجلاء الالتباس الذي رافق اندلا ع الثورة , وخروج هذه الأخيرة من عقدة الإخفاق الى تحقيق إنجازات عسكرية وسياسية في الداخل والخارج مكنتها من الشمولية والشعبية عندها بدأ استيعاب مختلف شرائح المجتمع في مصالح جبهة وجيش التحرير الوطني تماشيا مع تطبيق قرارات مؤتمر الصومام اذ عملت قيادة الولاية الرابعة على إدماج المثقفين الوطنيين من طلبة وطالبات في مهام خاصة لإعطاء مردود

أحسن في الصحة[15] بل شدد على تنظيم الخدمات الصحية بشريا وماديا من جراحين و أطباء و صيادلة بالتنسيق مع المستشفيات و مراكز العلاج و توفير الأدوية و الضمادات و علاج الجرحى و المرضى من عسكريين ومدنيين[16]

ولأهمية القطاع الصحي في تعزيز العمل الثوري , فإنه وضع تحت إشراف قائد الولاية مباشرة باعتباره مسؤولا سياسيا عسكريا إلى جانب مصلحة الدعاية والإعلام و مصلحة الاتصال[17] , و جعل من مهام المسبل التموين بالأدوية و الاعتناء بالجرحى[18] , و تكليف المحافظ السياسي بجمع الأدوية و وسائل الجراحة[19], مما اكسب القطاع الصحي اهتماما شاملا و وحيويا في هرم الولاية في قسمها العسكري و المدني و إلحاقه بكل صنف من الهيئات لطبيعته الإنسانية و الأخلاقية لأمة مكافحة ومتحضرة .

وفي سياق أخر دعا المؤتمر المجالس الشعبية العاملة في الأرياف إلى تسيير شؤون السكان من إحصاء , جمع الاشتراكات , البحث عن ينابيع الماء , تأمين وسائل معيشة الشعب و السهر على صحتهم , بإيفاد الممرضين والممرضات إلى كل منزل في البادية و توزيع الأدوية ومعالجة الأمراض[20] كما خصص المؤتمر لإطارات المصالح الصحية رواتب بناء على الرتب العسكرية في التوصيف على النحو التالي:

أ – الأطباء راتبهم مثل الضابط الأول : 4500 فرنك فرنسي قديم (ف.ف.ق).

ب- مساعدو الأطباء مثل الملازم : 2500 ف. ف . ق .

ج- الممرضون والممرضات مثل العريف :1500 ف . ف . ق[21] .

كما تم تقسيم المصالح الصحية الى فرق وتكليفها بمهام دقيقة ومهمة كما يلي:

-فريق الممرضين يتكفل بمداواة الجرحى –فريق مكلف بنقل المستلزمات الطبية على البغال والحمير-فريق مكلف بالاسترجاع وإسعاف الجرحى الذين يعانون خطر مضاعفات الجروح على حياتهم والعمل على استعادة الأسلحة والذخيرة والوثائق الموجودة بحوزة الشهداء جراء الجروح القاتلة أو قتلوا في اشتباكات مع العدو[22].

وبهذا التنظيم المادي والبشري والتشريعي سارعت الولاية الرابعة الى التكفل الجاد بالخدمة الصحية في مواقع عديدة بين الثوار والسكان في ظروف حرب إبادة لا يقوى على تحمل ألامها الطاقم الصحي بمعزل عن بقية الهياكل الثورية الأخرى .

ولأهمية القطاع الصحي الإستراتيجية في الثورة لم تدخر الولاية الرابعة جهدا في تنظيمه و هيكلته , موكلة هذه المهمة لطلبة الطب الذين التحقوا بالثورة اثر إضراب الطلبة الجامعيين والثانويين العام 19-05-1956 و إلى مجموعة الأطباء في العاصمة , البليدة , المدية و شرشال و الأصنام , وسيتدعم أكثر بعد إضراب الثمانية أيام في جانفي 1957 .[23]

و لهذا الغرض نظم ملتقى بعد مؤتمر الصومام بجبل الزبربر في المنطقة الأولى , ضم إطارات السلك الطبي على مستوى الولاية الرابعة لوضع تنظيمات صحية تتماشى و قرارات المؤتمر وإمكانيات الولاية , إذ صار لكل منطقة مركزها الصحي و طبيبها الخاص و لكل ناحية و كتيبة ممرضها الخاص :

*- المنطقة الأولى : يشرف عليها الطبيب سعيد حرموش , سنة رابعة طب .

*- المنطقة الثانية : يشرف عليها الطبيب إسماعيل دهلوك محفوظ , سنة خامسة طب .

*- المنطقة الثالثة : يشرف عليها الطبيب يوسف الخطيب[24] , سنة ثانية طب .

بفضل هذه الإطارات تكونت المراكز الصحية كمركز أولاد بني عصمان في جبل الزبربر و مركز تمزقيدة بين موزاية و العفرون[25], كما أقيمت بعض المراكز داخل المدن أو قريبة منها لتسهيل عملية تزويدها بالأدوية و تنقل الأطباء و الممرضين إليها مثل ما قام به الطبيب زميرلي و بيار شولي[26] في مركز بن ونيش في برج الكيفان , رفقة الممرضة مريم بن محمد[27]

لقد شهدت شبكة النظام الصحي تنظيما محكما ومرنا قبل 1957 لأن الشعب كان موجودا في كل مكان ووسائل الاتصال و التموين متوفرة و تصل في وقتها و بكمية لا باس بها سواء من الصيدليات أو المصحات أو من عند الأطباء زيادة على الأغذية و التبرعات التي يسديها المواطنون دعما للثورة التحريرية[28]

والأكيد أن التضامن الفعال بين الشعب و المجاهدين هو الذي أفشل مخطط فرنسا في القضاء على الثورة مما دفع بالقيادة السياسية والعسكرية الفرنسية الى شن الحرب على المدنيين الذين أصبحوا ضمن نطاق العمليات ودائرة الحرب , فقد أرسل بيار منديس فرانس رسالة إلى الحاكم العام قي مولي بتاريخ 1956-05-23 يشير فيه الى خطر التضامن بين الجماهير و المتمردين ولا بد أن تقوم العمليات العسكرية بقتل التمرد في النفوس[29].

بناء على ذلك سارعت الإدارة الاستعمارية إلى تكثيف عمليات التفتيش و المراقبة داخل المدن و خارجها فقام جيش التحرير الوطني بنقل المصحات إلى المخابئ الآمنة في الجبال سنة 1957 و تكفل طلبة الطب بالإشراف على المراكز الصحية و الإشراف على الممرضين و المسعفين للقيام بالعمليات الجراحية للمجاهدين[30], حيث قام يوسف الخطيب (سي حسان) بتولي تلك المهام في مناطق و نواحي الولاية الرابعة بين 1956- 1958 [31].و نفس الشيء قام به أطباء أجانب متعاطفين مع الثورة كالطبيب شولي (فرنسي مسيحي تقدمي) الذي عالج جرحى جبهة و جيش التحرير الوطنيين[32] .

ان الطبيب الجزائري الذي كان ينظر إليه قبل المعركة الوطنية على انه سفير المحتل , يعود الآن و يندمج في الجماعة الوطنية بصفته مسؤول في المصلحة الصحية و عضو هام في الجهاز الثوري و يصبح قطعة من اللحم الجزائري و لم يعد يوصف بالطبيب فقط و إنما طبيب"نا " و خبير"نا "[33] لما يتركه من الأثر السيكولوجي الايجابي في نفسية المجاهدين , فشعور هؤلاء بأنهم محاطين بجهاز طبي متماسك يزيدهم ثقة و صمودا أثناء قيامهم بالعمليات العسكرية[34] ,وفزع الاستعمار الفرنسي من انضمام الطبيب إلى صفوف المجاهدين واعتبره نكسة لمشروعه التعليمي و الحضاري[35] في الجزائر فعمد إلى توظيف أسلوب الفاشلين باستخدام العنف إلى أبعد حد .

لقد انسجم الرد العسكري الفرنسي مع مواقف المسؤولين السياسيين و العسكريين بمختلف مؤسساتهم و رتبهم و تناغم مع عويل المعمرين و تهويل الصحف المتطرفة مثل Le Journal d'Alger و ذهب إلى أبعد من القمع بل استئصال و دفن التمرد حيث يولد، و ما توحي به هذه العزائم هو الإسراع في التعبئة و توفير إمكانياتها المادية و البشرية و تنظيمها و تكييفها حسب الوضع المناسب لها لاستئصال وحدات جيش التحرير و ردع السكان. و نالت المنطقة الرابعة الحصة الأكبر من الأجهزة القمعية لتحقيق الهدف :مثل الفروع الإدارية المختصة[36]، الفروع الإدارية الحضرية[37], أجهزة الحماية

الحضرية[38], مصالح التربيع و العمل البسيكولوجي للمكتب الخامس[39], المفرزة العملياتية للحماية[40], مكتب الدراسات و الاتصالات[41] وبدأت هذه الأجهزة عملها مبكرا 1955 و هي مراكز للضغط النفسي و الاستنطاق و الاستعلام و التعذيب تحت قيادة جنرالات أمثال جاك سوستال، سالان[42] و شال , مست الريف و المدينة وكلا الجنسين و من جميع الفئات . ووضع عمل هذه الأجهزة القمعية تحت الأوامر و المراسيم الحكومية لسلطة الاحتلال في ظل تعميم حالة الطوارئ على كامل التراب الوطني 30أوت 1955 و تخويل القوات الأمنية و العسكرية كامل الصلاحيات لتسليط القتل و العقاب الجماعي في نقاط التوتر.

لقد اتبعت أجهزة القمع أساليب لا إنسانية في تعذيب المناضلين و المجاهدين و المدنيين بغرض الضغط النفسي(انتهاك أعراض النساء و التعدي على شرف المناضلين) لاستخلاص المعلومات أو تجنيدهم ضمن حركات مناوئة ضد جبهة التحرير. ومن طرق إبادة الجزائريين"يجب أن تكون عملية التعذيب (إنسانية) أي يجب أن تنتهي حالما يصرح الشخص المعذب بما يطلب منه و ألا تترك العملية أي أثر بالجسد و هذا لا يتحقق إلا باستعمال الماء و الكهرباء اللذين لابد منهما في كل عملية تعذيب " ومن الطرق الشائعة ما يلي ذكره :

- التعذيب بالملاقط المستطيلة و المسننة كفك التمساح توضع إحداها في طرف الأذن و الأخرى في أصبع اليد اليسرى .
- وضع الملقط في العضو التناسلي و تسليط الكهرباء عليه.
- استئصال الأظافر و هشم الأسنان وقطع اللحم بالملقاط و شق الأرجل بالسكاكين .
- وضع الملقط في فم المعذب وسد فمه ثم يشعلون آلة كهربائية بقوة حتى تتقلص عضلات وجهه و تتشنج.
- دق المسامير و سلخ الجلود و وضع الملح في مكان الجرح.
- حشد المعتقلين و إلقائهم في الآبار.
- ربط الموقوف عاريا فوق كرسي معدني يسري فيه تيار كهربائي حتى يتصلب جسده .
- الغطس في الماء البارد و الساخن الممزوج بالصابون تناسبيا مع فصلي الشتاء و الصيف[43] .

و أغلب مراكز التعذيب والتجميع حجتها "عسكرية صرفة " فضلا عن حوادث الاختفاء و الإعدام دون محاكمة التي تبرر بالادعاء الكاذب " محاولة الفرار "[44]

ومما سبق ذكره فإن الأزمة الإنسانية تعمقت و الواقع الصحي تدهور و فقد دوره في مدة قصيرة إذ لم يمض على إرساء الشبكة الصحية سوى بضعة أشهر مما جعل جيش التحرير الوطني و السكان على السواء يكابدون الألم لفترة طويلة وصعبة لكن فرار العديد من الإطارات من مدينة الجزائر قد وفر للقطاع الصحي كوادر بشرية مهمة لتنظيم مصالحه جاؤوا من نقاط مختلفة من المدن و من طبقات اجتماعية متباينة و دخول النساء إلى الجبال[45] و استخدامهن في التمريض و التموين واستمر الصراع بين القوات الاستعمارية و جيش التحرير قويا على احتلال المواقع في المدينة لإدارة المعارك لتتحول السلاسل الجبلية في الولاية الرابعة إلى منازلة بين الطرفين عبر مخطط شال مما ضاعف من متاعب الطاقم الصحي وإمكانياته الطبية .

لقد أعد شال تعزيزات بشرية ومادية كبيرة بلغ عددها 40الف جندي واللواء العاشر لماسو[46] , طائرات مطاردة و مقنبلة (B29, B26) , الطائرات العمودية و الاستكشافية , وتنفيذ عملية التطويق بإنشاء مراكز عسكرية جديدة و شق الطرق للولوج إلى المناطق الوعرة كجبال الونشريس , المدية , الأطلس البليدي و الظهرة و تجميع السكان في المحتشدات و القضاء على الذين بقوا منهم في المناطق المحرمة و ترك فرقة من الجنود الفرنسيين أو كومندو الملاحقة أو المطاردة لحراسة تلك المناطق[47] و دعم السدود المكهربة على الحدود الشرقية و الغربية و أضيف سدا باسمه إلى خط موريس[48] لقطع التموين عن الداخل من سلاح و أغذية و أدوية و جعل المعركة في مجال مغلق افرزت مظاهر صحية مقلقة .

*- تقوية الحصار حول المخابئ و إرساء نقاط المراقبة في المناطق الحساسة و عزل السكان في محتشدات و منح كومندو الملاحقة صلاحية الإشراف عليها , مما خنق التمون بالأغذية والأدوية و استفحال مظاهر الجروح و المرض للمجاهدين و المدنيين على السواء .

*- استخدام القصف الجوي بالقنابل المحرمة دوليا " النابالم " لمدة 15 يوما دون توقف[49], و التي أصابت الكثير منهم بالموت أو التشوهات لحد الساعة مثل المجاهد الحاج بلقا سم عبدوس من الشلف الذي لازال يعاني من آثارها .

*- تسليط التعذيب على كل أسير من جيش التحرير أو مختطف من السكان مما عرض أجسادهم إلى عاهات و أثار مستديمة وفقدان توازنهم النفسي جراء الممارسات التي فاقت الحدود .

*- القضاء على المنظمة المدنية لجبهة التحرير وحرمان المجاهدين من قاعدة لوجستية في الصمود اذ تم :

1- استشهاد 3000 جندي 1959 بعدما كان عددهم 9000 و منهم سي أمحمد بوقرة .

2- صعوبة الاتصال بين المجاهدين و الشعب[50] و بالتالي حرمان أولئك من المؤونة و زادهم الجوع و العطش و التعب إنهاكا و وهنا و تدنى المستوى الصحي بشكل فظيع بسبب تدمير خمسة مخابئ هامة للأدوية وثلاث مصحات[51]

3-لجوء العدو إلى إبادة المدنيين و تدمير قراهم و تهجير هم إلى المحتشدات[52] بمناطق موحشة , مما سمح ببروز الوفيات بين الأطفال و الأمراض المزمنة بين الشيوخ .

4-استشهاد الكثير من الممرضين و الممرضات و اكتشاف العديد من المراكز الصحية[53] و استشهاد الطبيب آيت ايدير و أصيب الطبيب بن سونة برصاصة في عينه و هو يعالج أحد الجرحى ونقل على إثرها إلى المغرب للعلاج[54] .

5-استشهاد العديد من الجرحى و المرضى إذ تم الإجهاز بدم بارد على ثلاثين جريح رفقة ممرضهم في باب البكوش في ماي 1958 [55]،و فقدت الولاية الرابعة جراء هذه العمليات ما يعادل في مجموعه 45 بالمائة من قوة الولاية بشريا[56].

6-خروج بعض طلبة الطب لإتمام دراساتهم سنة 1958 : جيلالي رحموني , مولاي بن سونة , حرموش ارزقي ماعدا يوسف الخطيب الذي كلف بتسيير مصحة في الونشريس لمدة طويلة[57]

7- تعاظم عدد الجرحى و ندرة الدواء بفعل المراقبة و التفتيش و ملاحقة الأطباء الأوربيين المتعاطفين مع الثورة .

8-وقوع الطبيب إسماعيل دهلوك في الأسر[58] قد حرم الولاية من كادر بشري مهم سيترك أثره في الميدان .

و كان ذلك القمع المستهدف للمواقع والإطارات الصحية انتهاكا صارخا للقانون الدولي و الإنساني و يتعارض في بنوده مع نص لائحة لاهاي لسنة 1907 و اتفاقيات جنيف لسنة 1949 و ما بعدها[59]".

لقد كثفت المنظمة العسكرية السرية OAS من عملياتها الإجرامية عقب فشل الانقلاب العسكري على شارل ديغول 22-04-1961, متخذة من وهران قاعدة خلفية و من العاصمة ميدانا لعملياتها , خاصة في الفترة التي أشرفت المفاوضات بين جبهة التحرير الوطني و الحكومة الفرنسية على نهايتها ومن جرائمها في الولاية الرابعة ضد المدنيين و العسكريين و الإطارات و المراكز الصحية و المؤسسات الجامعية مايلي :

* شهر مارس 1960 : الجرحى 501 و الموتى 110 .

* شهر افريل 1960 : الجرحى 417 و الموتى 230 .

* شهر ماي 1960 : الجرحى 1379 و الموتى 350 .

وكان شهر مارس 1962 شهرا حافلا بالعمليات العسكرية من اغتيالات و تفجيرات مست الجزائريين المدنيين و نخبتهم الأدبية و العلمية , إذ قتل مولود فرعون و جزائريين اثنين و ثلاثة أوربيين , و دفع شاحنة معبأة بالبنزين من أعالي العاصمة نحو القصبة محدثة خسائر مادية فادحة وتفجير 130 قنبلة في العاصمة يوم 4و 5 مارس 1962, وامتدت عنجهيتهم إلى مستشفى مصطفى باشا , بتخريب المخبر و ثلاث قاعات للعمليات الجراحية و مدرجين و إصابة 43 شخص بجروح وحرق 600الف كتاب بالمكتبة الجامعية في 07-06-1962 .[60]

لقد انتهكت حرمة المنازل و قدسية المراكز الاجتماعية و الإنسانية , ففي يوم 3و 4 افريل 1962 قامت عناصر فرقة "دالتا " باقتحام عيادة خاصة في حي بوفريزي و أطلقت النار على المرضى في أسرتهم و على الأطباء و الزوار ووضعت قنبلة في البناية لنسفها أسفرت عن قتل 10 أشخاص و جرح ثلاثة آخرين , وفي سجن البليدة استطاع بعض زبانية المنظمة التنكر بلباس حراس السجن والدخول بفعل التواطؤ مع إدارته و قتل طبيب الولاية الرابعة يحي فارس ,كما تم إطلاق قذائف الهاون على الأحياء السكنية في باب الواد و القصبة.[61]

لقد بذل قادة الثورة جهودا كبيرة في توفير المستلزمات الصحية لتعضيد العمل التحرري وسط تحديات عسكرية قوية مكنت فئات الشعب الجزائري والثوار من التداوي وعلاج بعض الإصابات والأمراض رغم مراسيم الحظر والملاحقة للوسائل الطبية وإطاراتها التي أدخلت نطاق الحرب إلا أنها وفرت

الحدود الدنيا التكفل الصحي والإنساني للجرح والمرضى ورسمت مشهدا يدين الحضارة الغربية في الصحف والمحافل الدولية وأيقظت الضمير الإنساني بدعوته الى تسليط الضوء على حرب الإبادة الدائرة في الجزائر التي تقودها دولة تزعم أنها هي أول من رفع شعار" الأخوة- الحرية-المساواة " في العالم كما أعطت دفعا للعمل الدبلوماسي في تعزيز موقف الجزائر بين الدول والمنظمات غير الحكومية لإدانة تلك الجرائم العدوانية وإحراجها في المحافل الدولية .

الهـوامـــش:

1المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة أول نوفمبر1954 , ملتقى حول كفاح المرأة الجزائرية في مجال الصحة أثناء الثورة التحريرية , جيجل ، 1998, ص04.

2MOHAMED GUANTARI , LES SERVICES DE LA SANTE DE L'ARMEE DE LIBERATION NATIONALE PENDANT LA REVOLUTION ALGERIENNE (1954-1962),DEA,S/LA DIRECTION DU PROFESSEUR ANDRE MARTEL, UNIVERSITE PAUL VALERY, MONTPELLIER, JUIN 1985, P10.

3 المنظمة الوطنية للمجاهدين , تقرير الملتقى الولاية الرابعة، 1959-1962، التقرير السياسي الجزء الأول، (بدون تاريخ)، ص 57.

4 أمحمد بوحوم , التنظيم السياسي و العسكري في الولاية الرابعة62/56، رسالة ماجيستير جامعة الجزائر، معهد التاريخ 2005 إشراف د: يحياوي مسعودة ، ص144.

5 FAROUK BENATIA , OP CIT , P 47 .

6جاك سوستال : ولد في مونبولييه يوم 03-02-1912 , درس الآداب و الفلسفة , له شهادة عليا في الانطولوجيا 1930 , انضم إلى قوات فرنسا الحرة 1940 في لندن , كلف بإدارة المصالح السرية لفرنسا الحرة في المكتب المركزي للاستعلام و العمل **BCRA** ثم رئيسا للمديرية العامة للمصالح السرية في الجزائر العاصمة , عين حاكما عاما في الجزائر 1955-1956 من طرف منديس فرانس , أنشأ 1959 التجمع من أجل الجزائر الفرنسية , انضم إلى **OAS** وعفي عنه **1968** , توفي 06-08-1990 .

7 HOCINE BOUZAHER , ALGERIE 1954-1962, LA GUERRE D'INDEPENDANCE AU JOUR LE JOUR, EDITION HOUMA, ALGER, 2004 , P359.

8 فرانز فانون, مرجع سابق، ص 151.

9 1H1645

10 MOHAMED GUANTARI , LES SERVICES , OP CIT ; P 23

11المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 , ملتقى حول كفاح المرأة....., مرجع سابق , ص 08.

12 فرانز فانون: مرجع سابق، ص 151.

13مجلة الجيش: العدد 376، سنة 1994، ص33.

14HOCINE BOUZAHER , OP CIT, P165.

15 M'HAMED YOUCEFI , L'ALGERIE EN MARCHE, TOME 2, ENAL, ALGER ,1985, P 248 .

16 BENYOUCEF BENKHEDDA , ABANE-BEN M'HIDI : LEUR APPORT A LA REVOLUTION ALGERIENNE,EDITION DAHLEB, ALGER, 2000 , P 143.

17 MOSTEFA KHIATI , HISTOIRE DE LA MEDECINE EN ALGERIE , DE L'ANTIQUITE A NOS JOURS , ANEP , 2000, P 211. **18** ازغيدي محمد لحسن : مرجع سابق , ص 138 .

19 MOHAMEDTEGUIA,L'ALGÉRIE EN GUERRE,OPU,ALGER,1988 , P 154 .

20 ازغيدي محمد لحسن , أزغيدي محمد لحسن : مؤتمر الصومام و تطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية , المؤسسة الوطنية للكتاب , الجزائر , 1989, ص 141

21 نفسه , ص 154 .

22 1H1645

23 مجلة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية , القطاع الصحي في الولاية الرابعة , العدد الثاني , سنة 2005 , ص 07 .

24 يوسف الخطيب (سي حسان) : ولد بمينة الشلف 19-11-1932 , تلقى تعليمه الابتدائي بالشلف (الأصنام سابقا) ثم بثانوية الأمير عبد القادر شعبة العلوم الطبيعية , تحصل على البكالوريا 1953 وسجل بقسم الطب بجامعة الجزائر . إنخرط في خلية الطلبة التابعة لجبهة التحرير الوطني 1955 وكان يشرف عليها الدكتور نقاش , هدفها تأطير الطلبة و تعبئتهم للثورة . التحق بصفوف الثورة إثر إضراب الطلبة 19-05-1956 , متوجها الى المدية التي كان يوجد بها الدكتور بوضربة , تمثل دوره في تقديم الدعم الطبي للثورة و الإسعافات الأولية للمجاهدين و معالجة السكان المدنيين في الأرياف والإشراف على تكوين الممرضين و الخلايا الصحية في مناطق الولاية الرابعة . عين قائدا للمنطقة الثالثة 1959 التي تزامنت مع انطلاق عملية شال العسكرية في دائرة إشرافه (الشلف و الونشريس) .بعد قضية الايليزي 1960 عين عضوا في مجلس الولاية , وباستشهاد سي محمد بونعامة 08-08-1961 عين خلفا له على الولاية الرابعة . أنظر : امحمد بوحموم : مرجع سابق , ص 49 .وأنظر أيضا : المركز الوطني للدراسات و البحث في تاريخ الحركة الوطنية وثورة اول نوفمبر 1954 : تاريخ الجزائر , مرجع سابق , قرص مضغوط .

25عبد القادر ماجن : النظام الصحي بالولاية الرابعة , مجلة أول نوفمبر : العدد 103 , السنة 1989 , ص 38 .

26 مجلة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية , القطاع الصحي , مرجع سابق , ص 07 .

27DANIEL DJAMILA MINNE :DES FEMMES DANS LA GUERRE, KARTHALA , ALGER ,2004, P 44.

28عبد القادر ماجن : مرجع سابق , ص 39 .

29HOCINE BOUZAHER :OP CIT , P 141 .

30 المنظمة الوطنية للمجاهدين : التقرير السياسي للولاية الرابعة , الجزء الأول 1959-1962 , ص 76 .

31امحمد بوحموم : مرجع سابق , ص 49 .

32 MOHAMED TEGUIA , L' ARMEE DE LIBERATION NATIONALE EN WILAYA 4, EDITION CASBAH, ALGER, 2002 , P 25.

33 فرانز فانون : مرجع سابق , ص 152 .

34محمد صايكي , شهادة ثائر من قلب الجزائر , مذكرات النقيب محمد صايكي ,الجزائر , دار الأمة , 2003 ص 159 .

35رابح المغيرية : مساهمة السلك الطبي في ثورة التحرير , مجلة أول نوفمبر , العدد 140-141 , السنة 1992, ص 30 .

36 SECTIONS ADMINISTRATIVES SPECIALES(SAS)

37 SECTIONS ADMINISTRATIVES URBAINES (SAU)

38DISPOSITIFS DE PROTECTION URBAINE (DPU)

39LES SERVICES DE QUADRILLAGE ET D'ACTION PSYCHOLOGIQUE DU 5EME BUREAU

40DETACHEMENTS OPERATIONNELS DE PROTECTION (DOP)

41 BUREAU D'ETUDES ET LIAISONS (BEL)

42MOHAMED TEGUIA :L'ALN OP CIT, P104.

43محمد الصالح الصديق :مفاخر الجزائر و مخازي فرنسا , مجلة العصر , ملف خاص بإحياء الذكرى الخمسين للثورة, العدد 10, نوفمبر 2004 , ص 15.

44محمد بجاوي : الثورة الجزائرية والقانون 1960-1961 , ترجمة علي الخش ,دار الرائد للكتاب , الجزائر , 2005 , ص 281 .

45 SAAD DAHLEB , MISSION ACCOMPLIE , DAHLEB, ALGER , P 74 .

46جاك ماسو : ولد 1908 بفرنسا , عسكري محترف , شارك في تحرير فرنسا من القوات الألمانية أثناء الحرب العالمية الثانية و شارك في الفرقة العاشرة للمظليين في حرب الهند الصينية و من المشاركين في العدوان الثلاثي على مصر 1956 . أرسل الى الجزائر بعد انطلاق معركة العاصمة لحفظ النظام وتفكيك النظام الفدائي. دبر انقلاب 13-05-1958 قائدا للقوات المسلحة أنظر : المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة اول نوفمبر 54 , تاريخ الجزائر 1830-1962 , مرجع سابق , قرص مضغوط .

47حمد صايكي , مصدر سابق , ص 276 .

48جمال قندل , مرجع سابق , ص 87 .

49 MOHAMED TEGUIA , ALN OP CIT ,P 120.

50 شهادة مطبوعة للسيد يوسف الخطيب , في الذكرى 45 لاستشهاد سي محمد بونعامة , يوم 5و 6 أوت 2006 ببرج بونعامة ولاية تيسمسيلت .

51عبد الحميد زوزو , محطات في تاريخ الجزائر , دراسات في الحركة الوطنية و الثورة التحريرية , مطبعة هومة , الجزائر , 2004, ص542 .

52محمد صايكي , مصدر سابق , ص 284 .

53 مؤسسة ذاكرة الولاية الرابعة التاريخية , القطاع الصحي , مرجع سابق , ص 08 .

54محمد صايكي , مصدر سابق , ص 160 .

55 نفسه, ص 160 .

56 MOHAMED TEGUIA , ALN OP. CIT , P 69 .

57مجلة ذاكرة الولاية الرابعة :القطاع الصحي , مرجع سابق , ص 08 .

58 عبد الحميد زوزو , مرجع سابق , 542 .

59عبد القادر حميد , الاستعمار بين الحقيقية التاريخية والجدل السياسي , جريدة الخبر , العدد 4745 , يوم 03-07-2006 ,ص 02 .

60الرائد عمار ملاح , المرحلة الانتقالية للثورة الجزائرية من 19 مارس الى سبيتمبر 1962 , عين مليلة الجزائر , شركة دار الهدى للطباعة و النشر و التوزيع , 2005,
ص 279 .

61 أمحمد بوحموم : مرجع سابق , ص 20.